**المحاضرة الرابعة:**

**خصائص القصيدة الإحيائية**

**توطئة:**

يعدّ محمود سامي البارودي(1839-1904) من الشعراء الذين كانت لهم نزوع نحو التراث الشعري القديم وبخاصة عند الشعراء العباسيين والجاهليين، وعند التمعن فيما كتبه نجد ملامح هذا التأثر في شكل القصيدة ومضامينها على الرغم من الحدود الزمنية الفاصلة بين عصر البارودي والعصور السالفة، فقد حافظ على نهج الشعراء القدامى، وحطّم القيود والأغلال ففخر ووصف وشكا وحنّ إلى الوطن، وتغزل ومدح وهجا ورثى وقال في السياسة وعالج جميع الأغراض التي عالجوها[[1]](#footnote-2).

ومن أمثلة ما طرقه من أغراض قوله في **الوصف**[[2]](#footnote-3) في سجنياته:

فسواد الليل ما إن ينقضي وبياض الصبح ما إنْ يُنتظرْ

لا أنيس يسمع الشكوى ولا خبر يأتــي ولا طيــــــــف يمـــــــر

بين حيطان وباب موصد كـــــلما حركــــه السجــــــــان صرْ

وقد عُرف البارودي أيضا بروح البطولة وأجواء **الحماسة** في شعره، جامعا بين الشجاعة في ساحات الحرب وبين القدرة على تحمّل الصعاب فيها؛ يقول في هذا الشأن[[3]](#footnote-4):

جدير إذا ما هَمّ أن يكسو القنا وبيض الظبا ثوبا من الدم أحمرا

وما كل مَنْ ساس الأعنة فارسا ولا كلّ من نــــــــاش الأسنة قسورا

فليس من اليسير عند قراءة هذين البيتين فهم ما تضمناه من معانٍ ما لم يتم الاستعانة بشرح مفرداتهما شرحا لغويا يقرّب مضمونهما للقارئ، فقد يكون عدم وضوح اللفظ سببا في استعصائه على إدراك أبعاده ودلالته.

ومن غرض **النسيب** قوله[[4]](#footnote-5):

رقّتْ لي الورقاء في عذاباتها وبكت عليّ بدمعها الأنداءُ

وتحدثت رسل النسيم بلوعتي فلكل غصن نحوها إصغاء

كلف تناقله الحمام هن الصبا فصبتْ إليه الغيدُ والشعراء

وقال أيضا في **الرثاء** معبرا عن حزنه وأساه لفراق زوجته بعد أنْ ورد إليه نعيها وهو بمنفاه (سرنديب)[[5]](#footnote-6):

لا لوعتى تدعُ الفؤادَ، ولا يدى تقوَى على ردِّ الحبيبِ الغادى

يا دَهْرُ، فِيمَ فَجَعْتَنِي بِحَلِيْلَة ٍ؟ كانَتْ خَلاصَة َ عُدَّتِي وَعَتَادِي

إِنْ كُنْتَ لَمْ تَرْحَمْ ضَنَايَ لِبُعْدِها أفلا رحِمتَ منَ الأسى أولادى ؟

أَفْرَدْتَهُنَّ فَلَمْ يَنَــــــــــــــــــــــــمْنَ تَوَجُّـــــعاً قرحَى العيونِ رواجِفَ الأكباد

أَلْقَيْنَ دُرَّ عُقُودِهِنَّ، وَصُغْنَ مِنْ دُرِّ الدُّموعِ قلائدَ الأجيـــــــــــادِ

يبكينَ من ولهٍ فراقَ حَفيَّــــــــــــــــــــــة ٍ كانتْ لَهنَّ كثيرة َ الإسعادِ

فَخُدُودُهُنَّ مِنَ الدُّمُوعِ نَدِيَّـــــــــــــــــــــة ٌ وقًلوبُهنَّ منَ الهمومِ صوادى

هيهات بعدك أن تقرّ جوانحي أسفا لبعدكِ أو يلين مهادي

ولهي عليك مصاحب لمسيرتي والدمع فيكِ ملازم لوسادي

فإذا انتبهتُ فأنتِ أوّل ذُكرتي وإذا أويتُ فأنت آخر زادي

فالإحساس بهول الفاجعة وقد بلغ صداها مسامع الشاعر في منفاه مرتبط بقيم الوفاء لقدسية العلاقة التي تجمعه بزوجه، لما لوجودها من دور في حياته العائلية الخاصة.

وكتب أيضا في **الحكمة** فقال ناصحا[[6]](#footnote-7):

فَابْتَدِرْ مَسْعَاكَ، وَاعــــــــــــــــْلَمْ أَنَّ مَنْ بادرَ الصيدَ معَ الفجرِ قنصْ  
 لَنْ يَنَالَ الْمَرْءُ بِالْعَجْزِ الْمُنَى إنَّما الفـــــــــــــــــــوزُ لمـــــــــــــنْ هَمَّ فنَصْ  
 يَكدحُ العاقلُ فى مأمنـــــــــــــــــــهِ فإذا ضـــــــــــــاقَ بهِ الأمرُ شخَصْ  
 إِنَّ ذَا الْحَاجَة ِ مَا لَمْ يَغْتَرِبْ عن حماهُ مثلُ طيرٍ فى قفصْ  
 وليكن سَعيَكَ مجــــــــــــــداً كـــــــــــلُّهُ إنَّ مرعَى الشرِّ مكروهٌ أحص

واترك الحرص تعش في راحة قلّما نــــــال منــــــاه من حـــــــــرصْ

قد يضر الشيء ترجو نفعـــــــــه رُبّ ظمآن بصفو الماء غص

1. - ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي: دراسات في الأدب العربي الحديث، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج01، ص71. [↑](#footnote-ref-2)
2. - محمود سامي البارودي، المصدر نفسه، ص252- 253. [↑](#footnote-ref-3)
3. - المصدر نفسه، ص277. [↑](#footnote-ref-4)
4. - المصدر نفسه، ص 38- 39. [↑](#footnote-ref-5)
5. - المصدر نفسه، ص 155. [↑](#footnote-ref-6)
6. - محمود سامي البارودي: المصدر نفسه، ص297. [↑](#footnote-ref-7)